انتقل من التمثيل الى الرواية العلمية

سمير شمص: علم الفضاء يلتقي مع احلامي وافكاري كفنان

بيروت ـ «القدس العربي» ـ من زهرة مرعي:

كتب العديد من السيناريوهات لمسلسلات وتليفيلم، ومثل مئات الأدوار في السينما والتلفزيون والاذاعة، وبرع في الدبلجة، لكنه اليوم صار روائياً لقصة من الخيال العلمي. انه الفنان المخضرم سمير شمص الذي لا يهدأ باحثاً على الدوام عن كل جديد. «عند حافة الكون» هي روايته الأولى عن الخيال العلمي وحولها كان هذا الحوار:

■ كان مفاجئا أن يدخل الفنان سمير شمص عالم الرواية ومن باب الخيال العلمي. لنتعرف الى بدايات اهتمامك بهذا العلم؟

■ انشغالي واهتمامي بهذا العلم وبجمع التقارير الفضائية يعود لزمن بعيد. كما لديّ دراسة في النظريات العلمية وعن الفلاسفة الذين وضعوها. هذا الاهتمام يقع في طليعة الأمور التي أحبها. ولاحقاً رغبت بكسر الروتين السائد في الرواية العربية وفي القصة التلفزيونية أو السينمائية من خلال كتاب يصلح لأن يكون مادة في هذا الجانب. العالم بأجمعه سبقنا للكتابة عن الفضاء ونحن لا نزال في مكاننا. وأذكر هنا أن اهتمامي بهذا النوع من العلوم بدأ بعد عمر المراهقة. وفي الحرب التي داهمتنا لسنوات طويلة في لبنان استفدت من حال البطالة القسرية في تجميع المعلومات التي راحت تكبر مع كل اكتشاف جديد في عالم الفضاء.

■ ماذا في ايجاز هذه الرواية؟

■ انها مغامرة يقوم بها طلاب التكنولوجيا الذين وصلوا عن طريق الخطأ الى الفضاء وهم بالكاد يدركون قواعده البسيطة. وهناك بدأوا بتعلم الكثير من الأمور. كتبت الرواية بطريقة سينمائية جميلة وفيها الكثير من الحوارات والمشهدية.

من يقرأ الكتاب يشعر وكأنه بمواجهة فيلم سينمائي حقيقي، وفي الوقت نفسه يقطف ثقافة فيما يختص بعلم الفضاء. انها أول رواية في هذا المجال موثقة بمعلومات علمية، وقد يكون كتب آخرون في الوطن العربي في هذا الجانب من دون أن يكون ذلك خيالاً علمياً موثقاً.

■ من البداية كنت أمام هدف التثقيف في علم الفضاء وتحويل الرواية تالياً الى عمل فني؟

■ أكيد لأن هذه الرواية تصلح عملاً تلفزيونياً وتصلح فيلماً سينمائياً، كما تصلح للاذاعة، وكذلك فيلم كرتون. نحن أمام رواية تصلح لتتحول عملاً فنياً في مجالات شتى.

■ وهل ترى في رواية «عند حافة الكون» حصيلة لتجاربك المتعددة في مجال كتابة الدراما سواء على صعيد المسلسلات أو الأفلام القصيرة؟

■ من المؤكد أني استفدت من خبرتي السابقة في مجال الكتابة التلفزيونية وخبرتي في التواجد في الاستديوهات، وكذلك معلوماتي عن الانظمة الشمسية، كل ذلك تضافر في سبيل الوصول الى هذا الكتاب.

■ ما هي النقطة المركزية التي فتحت أمامك عالم الفضاء ليصبح نوعاً من المعرفة التي تلاحق كل جديد فيها؟

■ كل البشر الموجودون في هذا الكون عندما ينظرون الى السماء يسألون عن الاسرار الموجودة فيه. كلنا يسأل ان كان هناك بشر؟ وكيف يتشكل هذا الكون؟ انها أسئلة لم يجد لها الناس اجابات، في حين يسعى العلماء للوصول الى اجابات. انه علم جميل للغاية لا يعلمنا فقط ماذا في هذا الكون، بل يعلمنا من ماذا يتشكل هذا الفضاء، كما يعلمنا كيف تتشكل المواد والعناصر الكونية التي نحن جزء منها.

■ كم استفدت من التجارب والمعلومات الحديثة عن عالم الفضاء وكم قدمت لك المساعدة لكتابة هذه الرواية؟

■ من المؤكد أنها قدمت لي الكثير من المساعدة. لكني أتوخى الدقة والحذر في الاكتشافات الفضائية لأننا على الدوام أمام معلومات جديدة. في القرن الماضي كنا مع مجموعة شمسية من سبعة كواكب، ولاحقاً صرنا أمام تسعة كواكب وحالياً نحن مع عشرة منها. الكوكب الأخير تم اكتشافه سنة 2003 ولم يكن هناك جزم من أنه ينتمي الى المجموعة الشمسية ولاحقا صار اسمه «سينا».

■ هل تعتقد أنك قادر على الاحاطة بكل جديد يطرأ على هذا العالم الفضائي؟

■ صرت أمتلك معلومات جميلة عن الفضاء لم أرغب بسجنها عندي وحدي بل رغبت بمشاركة الآخرين بها. الاسئلة التي سألتها لنفسي ووجدت اجابات لها جسدتها من خلال كتاب بأسلوبي الفني في الكتابة السينمائية للسيناريو والحوار. انها قصة فيها تشويق تترك القارىء يتصور نفسه موجوداً مع أبطال الرواية الذين قاموا برحلتهم الى الفضاء. التطور العملي السريع في عالم الفضاء ليس متاحاً فقط من خلال مجلة أو كتاب أو تقرير.

■ اذاً ما هي السبل التي تجمع بها معلوماتك عن هذا العالم؟

■ أوجزت في هذا الكتاب المنظومة الشمسية التي نعيش فيها والمؤلفة من عشرة كواكب. رحلتي وصلت الى حافة الكون للمجموعة التي نعيش فيها ولم تتمكن من الذهاب أبعد من ذلك. وكان يفترض أن تكون رحلة من دون عودة، انما تتضمن الرواية في نهايتها مفاجأة تقول بأن الرحلة كان فيها عودة وفيها نهاية سعيدة.

■ هل استفدت من الانترنت في توسيع معلوماتك عن عالم الفضاء؟

■ لدي الكثير من المعلومات مصدرها الانترنت، كما أتابع أحدث المجلات العلمية، وأستقي معلوماتي من أساتذة مختصين في العلوم الفضائية. وأذكر هنا أن التقارير الفضائية هي على الدوام متناقضة وتثير الكثير من الجدل. لنقل على سبيل المثال أن كوكب المشتري بدأ بـ16 قمراً، ومن ثم وصل الى 60 ولاحقاً الى 150 قمراً. هنا لا أعرف متى سندرك عدد الأقمار التي تحيط بالمشتري بالتأكيد؟

■ برأيك هل سيصل العلماء الى كشف كل ما يحيط بعالم الفضاء الخارجي أم ستبقى هناك أسرار؟

■ دائماً هناك خطوة أولى كما هناك تسارع في الذكاء بين الآلة والبشر. يُعرف أن ذكاء الكائن البشري بطيء النمو وهو يتعلم ويكتسب من المعارف القديمة ويضيف اليها أشياء من ذكائه الشخصي. حالياً يتم العمل على تطوير ذكاء الآلة من خلال الكمبيوتر.

■ نعرف أن العلم هو نظريات مبينة أمامنا. كيف كان برأيك اجتماع العلم مع الخيال؟

■ أجمل ما في الخيال العلمي أنه يصل الى مكان يصبح أغلبه حقيقة. الانسان قادر على استشفاف المستقبل. عندما كتب «جيلبرن» كتاب «رحلة الى الفضاء» بنى في خياله الصاروخ الذي انطلق لاحقاً الى القمر والذي حمل الأمريكيين الى هناك.

■ كم كتابا تحتوي مكتبك الخاصة بعلم الفضاء؟

■ فيها الكثير من الكتب والمجلات العلمية وهي موثقة بحيث أعود الى المعلومات على الدوام. كما أتابع كل جديد في أفلام الخيال العلمي. وعندما كتبت «عند حافة الكون» لم أقلد أي خيال علمي آخر.

■ هل تعتقد أن جيل الشباب سيشكل النسبة الأكبر من قراء روايتك؟

■ أظن ذلك. كما أني اتعاون مع كل من يهتم ويعمل في علم الفضاء ومع العاملين في مجلة «علم وعالم» العلمية ومنهم مجدي سعد. وهؤلاء العاملون في هذه المجلة يسعون لنشر هذا العلم بشكل أو بآخر في العالم العربي بحيث يصبح من اهتمام الشباب في الجامعات. ومؤخراً عندما شاركت في مراقبة كسوف الشمس كان من بين المهتمين نسبة هائلة من الشباب. وكنت الفنان الوحيد الذي تابع هذه الظاهرة الكونية.

■ وكيف تصف ظاهرة كسوف الشمس من خلال مراقبتك لها؟

■ وجدت وكأن القمر يقول للشمس في تلك اللحظات التي كان يدخل الى قرصها بالتدريج «أنت التي تلتهمين مليون و300 ألف كرة أرضية سوف ألتهمك اليوم أنا الذي لا يزداد حجمي عن ربع الكرة الأرضية فلا تنغري كثيراً أيتها الشمس».

■ هناك تفكير برحلات للعموم الى القمر هل تتمنى يوماً أن تدوس سطح القمر؟

■ اذا وجدت جدوى في الزيارة فلما لا؟ لكن ان كنت أعرف مما يتكون القمر فلماذا أصعد اليه؟

■ هل تخاف؟

■ المسألة ليست في الخوف. أرى الرحلات الى القمر أمراً واقعياً تماماً كمن يذهب في الباص من الروشة الى الأشرفية. كما أنهم يفكرون بتنفيذ مصعد خاص الى القمر من خلال ألياف كربونية متينة. لسنا أمام خيال علمي بل أمام علم تماما كما نقول واحد زائد واحد يساوي اثنين.

■ هل أخذك علم الفضاء بعيداً عن الفن؟

■ اطلاقاً بل هو يلتقي مع كوني فنانا بشكل كلي. انه يلتقي مع أفكاري وأحلامي. وهو جزء غير روتيني من عالمي الفني. من خلاله قدمت جديداً ويمكنني القول بأني تركت أثراً.

■ هل تتوقع امكانية لانتاج هذه الرواية في فيلم أو مسلسل؟

■ لما لا. نحن حالياً أمام أعمال فنية تنفذ من خلال الكمبيوتر. نحتاج لانتاج مرتاح الى حد ما. الكثير من علمائنا العرب شاركوا في الاكتشافات الفضائية الجديدة والقديمة ولهذا أدعو لأن تكون لدينا وكالة فضاء عربية تهتم بمراقبة الفضاء. منذ خمسة آلاف سنة كانت المراصد العربية هي الأهم في العالم خاصة في بغداد.

■ التعمق في علم الفضاء هل هو متعة أم رهبة من أسرار الكون؟

■ نحن العرب نقول على الدوام «ربي زدني علماً». علوم الفضاء توسع الآفاق والمدارك. انه علم يتلازم مع الكثير من العلوم. وهو علم يوسع خيال الكاتب ولا يحصره بنواحي معينة.

■ ما هو جديدك على الصعيد الفني؟

■ بصراحة اتفقنا على انتاج درامي عربي ننفذه في لبنان وذلك بعد جهد عسير لأن المنتجين العرب لا يؤمنون بالمسلسل اللبناني ان لجهة تقنيته أو نوعية قصصه لذلك هو لا يباع للدول العربية. بعد الاتصال بعدد من التلفزيونات المحلية وجدنا عرقلة من قبلهم وعدم حماس. اذ يبدو أنهم مكتفون بأن تكون التلفزيونات اللبنانية سوق نخاسة فقط لا غير. لم أر في كل العالم من يتاجر بالنساء كما تفعل تلفزيونات بيروت.

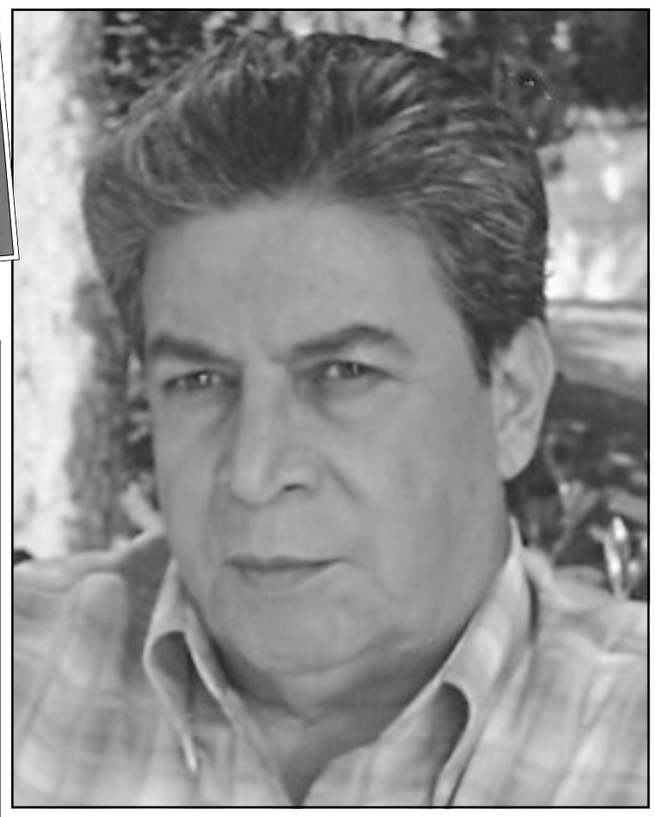

سمير شمص

غلاف الكتاب

يطالب الآخرين بالتعامل معه كنجم صاحب رصيد شعبي وينتقد نظام المنتج المنفذ

احمد بدير: نجم يأخذ ميزانية المسلسل والباقي يضرب رأسه في الحائط فهل هذا عدل؟

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من عمر صادق:

لأول مرة يخرج نجم الكوميديا احمد بدير عن صمته ويتهم نظام المنتج المنفذ والمنتج المشارك بانه أفسد الدراما، وقال: لا فائدة من هذا النظام طالما يسمح للنجم ان يستولي وحده على ثلاثة ارباع ميزانية المسلسل ولا يبقي سوى ـ فتات ـ لبعض الممثلين! وقال ايضا هذا الكلام لا يرضي ربنا، وأطالب بان يكون هناك توزيع عادل لميزانيات المسلسلات بحيث يحصل كل فنان على حقه كاملا، ويجب ان ينظر المنتج المنفذ أو المنتج المشارك بعين الاعتبار للفنانين قبل النجوم لأنه من الظلم ان ـ يلتهم ـ النجم معظم ميزانية المسلسلات ويضرب باقي الفنانين رؤوسهم في الحيط!

وقال بدير: اذا لم احصل على حقوقي كاملة ومعاملتي معاملة النجوم فلن اعمل.

أنا فنان صاحب تاريخ طويل في الدراما ومن العبث ان يحاول البعض نسيان او تجاهل انني فنان صاحب بطولات عديدة ولي اسمي وتاريخي وأعمالي.

واضاف: انا أعرف ان حقوقي كفنان لن تستطيع نقابة الممثلين او حتى وزارة الاعلام مساعدتي في الحصول عليها ولكني اناشد اصحاب الضمائر الحية ان يكون هناك عدل ومساواة بين الجميع حتى لا يضيع جهد او عرق العاملين.

■ ما سر اعتذارك عن عدم المشاركة في مسلسلي ـ سكة الهلالي ـ و ـ الجبل ـ؟

■ كنت أتمنى ان يتم تقييم الفنان تقييما عادلا بما يتناسب مع تاريخه واسمه وأهميته كفنان على الخريطة الدرامية في مصر، للاسف نظام المنتج المنفذ والمنتج المشارك لا يحقق هذه المعادلة حيث تعود المسألة الى الاهواء الشخصية والرغبات واشياء اخرى وليس التقييم الموضوعي للفنان وتاريخه وعندما تم تقييمي باسلوب لا أرضى عنه اعتذرت عن المسلسلين.

■ كيف يتم التقييم من وجهة نظرك؟

■ عندما كنت وكيلا لنقابة الممثلين لعدة دورات كنت أنادي بان تكون هناك عدالة في توزيع ميزانية المسلسل – فالمنتج المنفذ او المشارك يميز النجوم عن باقي الفنانين بمعنى ان هذا النجم ـ يلهف ـ معظم ميزانية المسلسل ولا يتبقى الا النزر اليسير منها لباقي الفنانين.

■ هل يتحقق هذا العدل في عهد توليك وكالة النقابة؟

■ كنت التزم به لآخر نفس في عمري وتحقق الكثير منه، وحصل فنانون على حقوقهم كاملة في عهدي، اما الآن فالعدل غائب، والحقوق ضائعة بسبب نظام المنتج المنفذ أو المشارك.

■ لكن هناك من امتدح نظام المنتج المشارك او المنتج المنفذ؟

■ قليلون فقط وهم النجوم لانهم يحصلون على حقوقهم كاملة حيث يعمل هذا النظام على تلبية كل احتياجات النجم من الألف الى الياء وتوفير كل الضمانات له حتى ينتهي من التصوير اما الباقون فهم في حالة غضب لأن حقوقهم ضائعة ومهما اشتكوا فالشكوى لغير الله مذلة.

■ هناك العديد من المشاكل لم تنجح نقابة الممثلين في وضع حد لها مثل قضية الاجور والتشغيل والبطالة وغيرها، الى أي مدى توصلت الى حلول لها اثناء العمل النقابي؟

■ أنا لا أنكر ان النقابة لم تنجح في حل كل المشكلات والأزمات التي واجهتنا، ولكن لها الشرف انها حاولت، كنا نراسل التليفزيون ونطالبه بتشغيل الفنانين اعضاء النقابة وكانوا يستجيبون احيانا ويغفلون عيونهم احيانا اخرى ولكن على كل حال كنا نحاول الوصول الى حلول وسط وكثيرا ما ننجح في ذلك.

■ أحمد بدير، هل اختلف ايام عضويته بنقابة الممثلين عنه الآن بعيدا عن النقابة؟

■ ليس كثيرا، ولكن وأنا داخل العمل النقابي لا يستطيع احد كائن من كان ان يفرض شروطه عليّ، ولا أسمح بهذا ابدا في الماضي أو الحاضر، وأنا شخصيا اذا لم احصل على حقوقي كاملة فلن اعمل في التليفزيون وسأعتذر عن أي عمل طالما ان حقوقي مهدورة.

■ تتحدث كثيرا عن حقوقك المهدورة، فما هي؟

■ حقي الطبيعي بعد هذه السنوات الطويلة واسمي وتاريخي الذي حفرته بالعرق والدموع لا يجب ان يضيع هدرا، ولا يتعامل معه احد باستهانة، انا نجم كوميدي صاحب رصيد كبير في الاعمال الدرامية وأتمنى ان يعاملني الآخرون على هذا الاساس.

والا فأنا لست على استعداد للتعامل مع أشخاص او جهات لا تضعني في الوجهة الصحيحة.

■ لماذا رفضت العمل في مسلسل تونسي، واعتذرت عنه؟

■ سبب اعتذاري عن هذا المسلسل انشغالي بمسلسلي ـ سكة الهلالي ـ و ـ الجبل ـ لهذا اعتذرت للمسؤولين التوانسة.

■ تقول ان موضوع ـ هيمنة ـ النجوم على معظم ميزانيات المسلسلات غير قابلة للحل تستطيع وزارة الاعلام ونقابة الممثلين حلها؟

■ أنا عندي ـ قناعة ـ تامة ان هذا الموضوع لا يمكن حله عن طريق وزارة الاعلام او نقابة الممثلين لانه محكوم بضمير المنتج المنفذ او المشارك بمعنى ان ترضية النجوم من السهل ان يقدمها المنتج المنفذ دون ان تعرف بقية الاطراف قيمة هذه الترضية.

■ أزمتك الحالية مع نظام المنتج المنفذ هل تعني توقفك حاليا عن تصوير المسلسلات الدرامية؟

■ لا، أنا اقتربت من الانتهاء من تصوير مسلسل ـ المنادي ـ والعب فيه شخصية مؤذن لأحد المساجد حيث يكتشف جريمة قتل اثناء ذهابه لرفع الآذان ويصبح الشاهد الوحيد فيها ويتعرض نتيجة لذلك الى قتل ابنه على يد المجرم القاتل.

■ وماذا عن المسرح؟

■ اجري حاليا بروفات ـ مرسي عايز كرسي ـ تمهيدا لتقديمها في الموسم الصيفي الحالي.

احمد بدير (القدس العربي)

أسس فرقة «رم» واعماله تمزج الشرقي بالغربي باسلوب ساحر:

طارق الناصر رسالته الاستمتاع بالموسيقى كموسيقي

عمان ـ «القدس العربي»:

يرنو المؤلف والملحن الاردني طارق الناصر الى تحرير الآلات الموسيقية من اقليميتها وراحت موسيقى الناصر تمزج بين الشرقي والغربي باسلوب سحر المستمع العربي وحلق به في اجواء موسيقية حديثة وغريبة لم تعتد الاذن العربية عليها.

بدأ الناصر مشواره الفني مع مجموعة بترا التي اختصت بالاعمال التنفيذية لمجموعة من المسلسلات والدراما العربية ومنها نهاية رجل شجاع والجوارح والكواسر واخوة التراب ويوميات مدير عام وذكر الناصر ان مجموعة «رم» هو اسم الفريق الذي اسسه العام 1998، نسبة الى الموقع الصحراوي في جنوب الاردن الذي الهمه سحر اسلوبه الخاص، ووجد روحه متعلقة في هذا المكان.

وانطلق الناصر ليستعيد مع مجموعة «رم» الاعمال الدرامية التي الفها سابقا مع طرح رؤيته الخاصة فيها بحرية ومن دون قيود.

ورأى الناصر ان الموسيقى الدرامية اشبه بالاغاني المصورة «الفيديو كليب» فيها تختزن في عقل المتلقي وتحديثنا لها يعود بالمستمع اليها.

ومزج الناصر عبر «رم» الالات الشرقية بالغربية وزواج الحديث بالقديم ليعيش المتلقي موسيقاه اجواء عمان التي نرى فيها المعاصر والقديم.

واكد الناصر ان موسيقى رم كمثال لمزج الالوان الموسيقية المختلفة في القطعة نفسها فهي تتكلم عن منطقة صحراوية تجمع بين الطابع الغربي الذي يتناسب وموسيقى الروك والشرقي الذي يتناسب مع ثقل الناي.

وولد الناصر في السعودية 1969 وتأثر بمجموعة للمسلسل الياباني «طريق الحرير» لكيتارو، كما تأثر ببيتهوفن علي مستوى الموسيقى الكلاسيكية وتأثر بمدرسة الرحباني وبالاخص زياد الرحباني.

ويبين قائد فرقته «رم» ان المصادر الموسيقية التي يرجع لها في مؤلفاته تعود الي الموسيقى نفسه وتتعلق بالاماكن والقصص والاحداث التي يمر بها الافراد فضلا عن الخيال الذي يطلقني الى اماكن وازمان مختلفة، ويجمل الناصر الرسالة المبتغاة من موسيقاه بانها تكمن في الاستمتاع بالموسيقى كموسيقي.

ويعرب عن امثلة في ان تاخذ موسيقاه المستمعين الى منطقة السلام في انفسهم.

ولاقت مجموعة «رم «اقبالا في جميع المشاركات في الحفلات والمهرجانات العربية والغربية في كل من عمان، لبنان، تونس، سلطنة عمان، المغرب، سورية، الكويت، ايطاليا، فرنسا، السويد وهولندا. وصدر لمجموعة «رم» حديثا البوم «اردن» الذي ضم خمس مقطوعات غنائية تحمل مواضيع مختلفة: اردن، موازيك، حب، ارم وموسيقى اغنية «دق» بتوزيع جديد، اضافة الي ست اغاني اتى كل واحد منها بطابع وفكرة خاصة من «نص ساعة» الى «لما تشتي» و«معاينة» و«جتنا» رسالة من التراث الاردني، و«عشنا روحي يا روح» و«يايمة» وهي اغنية خاصة للام، كما تعمل المجموعة حاليا على تحضير ألبوم فلكلوري اردني.

طارق الناصر (القدس العربي)

فضائيات

عززت تأثيرها الفضائيات: الخطابة وما تفعله بالناس

هويدا طه*

■ تلك المناظرة التليفزيونية في نشرة الحصاد على قناة «الجزيرة» بين محمد نزال ممثلا لحركة حماس وياسر عبد ربه عن منظمة التحرير، ثم أحدث رسالة صوتية لأسامة بن لادن في ألبومه المستمر الذي يدأب على اصداره مسلسلا منذ سنوات ـ أيضا على قناة «الجزيرة»، وكذلك كلمة حسن نصر الله زعيم حزب الله على قناة «المنار» وقنوات أخرى، أضف إليهم لقاءً (في حلقة أقدم) من برنامج الاتجاه المعاكس على قناة «الجزيرة».. جمع بين الشيخ التميمي (مفتي من فلسطين) والدكتور مراد وهبة (فيلسوف من مصر).. أربعة مشاهد فضائية أو قل أربعة نماذج للخطب العصماء.. ربما لا يمكن أن تمر قبل أن تثير في نفس البعض بضعة تساؤلات.. فأمام تلك الخطابة المفوهة وما تفعله بالناس ربما نتساءل.. ما الذي نحلم به بالضبط لبلادنا؟! هل هي النهضة؟ التقدم؟ الحرية؟ الاستنارة؟ إذن.. وإن كانت أحلاما عادلة تحق لكل الشعوب التي تتمناها (من أجل الحياة)؟ فهل هي أحلام ممكنة لشعوب.. يتصدرها ـ رجال دين ـ يحذرون شعوبهم من حب الحياة؟!

في الماضي لم يختلف العربي عن غيره من أبناء الأمم الأخرى في تأثره بسحر الخطابة.. الخطيب المفوه كان دائما يسحر الألباب ويسيطر على عقول عامة الناس ـ في كل الشعوب ـ ويوجههم أينما وكيفما أراد (ليست مبالغة إذن مقولة ان التاريخ صنعه في الغالب خطباء مفوهون حتى وإن كان بعضهم حمقى!).. ذلك في الماضي، الآن.. افترقت الطرق، دخلت أمم كثر عصر ما بعد الخطابة.. فلم يعد رنين الكلمات لديها بابا للتغيير والتطور ومفتاحا لحلول المشاكل.. بينما استمر العرب على ولائهم لسحر الحناجر.. حتى جاءت الفضائيات لتوسع دائرة المستمعين للخطب العصماء من عشرات أو مئات.. إلى ملايين..

كان غوستاف لوبون ـ وهو ألماني/نمساوي عاش في القرن التاسع عشر ـ قد ألف كتابه الشهير عن سيكولوجية السلطة وسيكولوجية الجماهير مقدما النصائح للقادة والملوك حول مسألة (الجماهير) وما تسببه لهم من صداع، قال فيه ان الجماهير عندما تصبح كتلة يمسك بتلابيبها خطيب.. فإن الفرد فيها يتحول إلى.. أذنين بينهما فراغ! فلا يحرك تلك الكتلة البشرية عقل وإنما تحركها الحناجر، بالطبع كان لوبون يقصد في كتابه الأمم الأوروبية قبل أن تتغير الأوضاع.. حيث لم يعد الخطباء يلقون اهتماما من الجماهير، قبل لوبون بمئات السنين كان ابن المقفع قد قدم نصائح مشابهة للخليفة في كتبه التي أشهرها (الآداب السلطانية، والأدب الكبير، والأدب الصغير).. الآن الأمم الأوروبية وكتلها الجماهيرية خرجت في أغلبها من مجال التأثر بسحر الحناجر إلى مجال التأثر بما يسمونه (الموضوعية ومعقولية الطرح وعلمية التصور للأشياء.. إلخ) فلم تعد تلك الجماهير تستسلم لخطيب وإنما تطلب دائما البرهان.. وبالتالي لم يعد بموسوع قادتها اهمالها إذ لم يعد ما بين آذان أفرادها ذلك الفراغ، أما العرب ـ قادة وجماهير ـ فما زال رنين كلمة معاوية (من اشتدت وطأته وجبت طاعته) تجرهم جرا، في القرن الخامس عشر كان هناك راهب مشهور في فلورنسا يدعى جوردانو.. كان يخطب في الناس بحرفية عالية، محذرا من غضب المسيح عليهم إن هم اهتموا بالدنيا ونسوا حق المسيح عليهم.. (فمعظم الخطباء المؤثرين في التاريخ كانوا ينهلون من نبع الدين).. كان يخطب ويدمع ويبكي فيبكي الناس معه ليختم خطبته بقوله (دعونا نحرق تلك الحانات.. دعونا نقتل خونة المسيح) فيسير وراءه الناس الدامعون الباكون ليحرقوا الحانات ويقتلوا المارة! هكذا يحذر بن لادن أمته من غضب الله فلا تمر أيام إلا وقد أحرق مريدوه الحافلات وفجروا الأسواق وأحشاء الناس شيوخا ونساء وأطفالا! في المناظرة بين نزال وعبد ربه في نشرة من نشرات الحصاد على قناة «الجزيرة» راح ممثل حركة حماس يصرخ بكلمات عربية سليمة مؤثرة وملوحا بيدي خطيب متمرس (أنتم تعيشون في منتجعات سويسرا بأموال الشعب الفلسطيني) ليرد عليه عبد ربه بهدوء المهزوم (لا تصور للناس أن حركة فتح كانت تملك مناجم ذهب قبل تسلمكم السلطة) لكن الصوت الأعلى كان للخطيب.. الخطبة العصماء كانت له.. فكان له الإعجاب، في كلمة حسن نصر الله التي نقلتها على الهواء قناة المنار وغيرها من القنوات كانت الجماهير صامتة مصغية وهو يخطب ملوحا بيديه.. حتى أنك لو ألقيت ورقة بينهم لربما سمعت على الأرض صوت خشاشها! ثم فجأة ـ وقد حفظوا أسلوبه المبين ـ عندما ينطق بعبارة تستحق ردا من الجمهور تجدهم في صوت واحد هادر ينطقون (آمين)! وفي حلقة من برنامج الاتجاه المعاكس كان موضوع النقاش مقاومة الاحتلال، راح الشيخ التميمي يصرخ «يا أيها العرب نحن في فلسطين نستصرخكم أن هبوا لنجدتنا»، كان المفتي الخطيب في مقابل الفيلسوف.. اكتسح المفتي النقاش!

كيف إذن تحولت جماهير الراهب جوردانو من جماهير تقتل المارة انتصارا للمسيح إلى جماهير ـ الآن ـ تقذف زعيمها بالطماطم إن هو (زوّد العيار) في كلامه! أو لم (يقنعها) بدلائل وشواهد معقولة على ما يقول؟! بينما ما زال جمهور العرب يدمع بعد خطاب لبن لادن.. حتى أنه بعد أقل من يومين من خطابه الأخير أطل (الخبر العاجل) على الفضائيات: احترقت مدينة دهب ومن فيها.. إثر تفجيرات يتهم فيها تنظيم القاعدة في سيناء المصرية؟!

ربما عندما نتتبع هذين الخطين للجماهير الأوروبية أو الأمريكية والجماهير العربية.. لنتعرف على السبب الذي جعل الفرنسيين مثلا يبصقون على حكومتهم وزعمائهم طالبين منهم البرهان على صحة قانون أصدروه.. وعندما لم يقتنعوا أجبروهم على تغييره.. أو جعل الأمريكيين يسخرون من مقولات بوش التافهة عن (كلمة الله التي ينفذها).. بينما جعل العرب لا يستمعون إلا لبن لادن وحسن نصر الله ورجال الإفتاء وعمرو خالد وغيرهم من رجال الدين الذين يتوجهون إلى آذان العرب لا إلى عقولهم.. ربما ندرك أن الخط الفاصل هو في لحظة تاريخية فاصلة مر بها الآخرون ولم نمر بها نحن بعد.. لحظة (القطيعة) مع (تدين الحياة)، أحلام النهضة والتقدم إذن والتطور والاستنارة والحرية.. لا يقودها من يمجدون الموت.. هؤلاء لن يقدموا مشروعا للحياة.. ربما الأمم الأخرى صادفت في لحظتها التاريخية آخرين لا يقدمون (غذاء الأذن المبين) وإنما يقدمون الدليل والبرهان.. أما نحن فما زلنا في انتظار هؤلاء.. أو قل ما زالت الجماهير العربية (لم تطلب هي ذاتها البرهان) فما زالت تتلذذ برنين الكلمات المنهولة من نبع الدين حتى لو كانت على رقابها.. لم تأت بعد لحظة العرب التاريخية للقطيعة التامة مع الخطابة الدينية.. التي تلقى رواجا بين جماهير نفسية الفرد فيها دينية وعقليته دينية وروحه كارهة للحياة، وحتى تأتي تلك اللحظة.. ما زلنا في أسر مقولة معاوية «من اشتدت وطأته.. وجبت طاعته».

ريموت كنترول:

■ أرجوك افهمني: برنامج هادئ على قناة اليوم ضمن شبكة أوربت.. لكنه ممل.. تقليدي، المذيعة هي فعلا رقيقة ويبدو أنها تقرأ وتثقف نفسها لكنها محدودة بهذه الجلسة النسوية.. وضيوف يشاركون في جلسة الحكي تلك وأناس يتصلون.. يبثون شكواهم من الحياة والآخرين.. يشبه برامج الإذاعة الليلية التي تتيح الفرصة للناس للشكوى من لوعة الغرام وظلم الأحبة.. هكذا يمضي البرنامج ليشغل مساحة على خريطة البرامج ليس إلا.. تشاهده مرة للتعرف فقط على فحواه.. لكنك في الغالب لن تكرر مشاهدته.. إنما هناك شيء يلفت النظر هنا.. كيف استطاعت تلك البرامج أن تغرر بالناس حتى يعرون حياتهم وخصوصياتهم إلى هذه الدرجة على الملأ؟!

■ برامج المسابقات: ليس السؤال لماذا توجد إنما لماذا تشاهد؟! فهناك نوعية غريبة عجيبة من برامج المسابقات لا تفهم بالضبط من أين تبدأ وكيف ولماذا.. تلك التي تخرج فيها مذيعة نصف عارية تسأل المشاهدين.. ليه الشمس زعلانة؟ ليه الصرصار ملهوش ذيل؟ ليه القطة بتقول ماو؟! لكن الأغرب ليس البرنامج ولا السؤال ولا المذيعة نصف العارية.. الأغرب هو هؤلاء الذين يتصلون بالبرنامج من المشاهدين ويدفعون ثمن الاتصال للاجابة على السؤال! ثم هناك ما هو أغرب.. ذلك الانتشار لتلك البرامج على مختلف القنوات.. الجادة منها والهزلية، فيما يفكر هؤلاء الناس عندما يتصلون ويشاركون في تلك البرامج.. وكم يتكلف انتاج تلك البرامج.. ثم.. ليه المذيعة عريانة؟!

* كاتبة من مصر
howayda5@hotmail.com

وارضيات